

# الحرب في أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

البلقان

تجتاز الحرب الآن فترة هدنة قصيرة ، تنتظر فيها الأداة الحربية نتيجة المباحثات السياسية ، فهي فترة صراع عقلي قاس ، يتناول خريطة العالم بأجمعها ، فالمباحثات السياسية دائرة في روما وبرلين وطوكيو ولندن وموسكو ووشنجن ، وتتناول موضوعاتها مستقبل الدول في العالم القديم والجديد

ولكن أبرز هذه المباحثات وأكثرها جذباً لأنظار العالم ما يدور حول البلقان ، تلك البقعة التي تنبأ لها العالم قبل أن تنشب الحرب بأنها ستكون مسرح نضال عنيف ؛ ودامت الحرب عشرة شهور والبلقان تقرب ما تكشف عنه الأيام والحوادث. فهل تكشف الحوادث الأخيرة عن مصير (نصف دستة) من الدول؟ وهل ينتقل ميدان الحرب إليها أم تتولاها يد الاتفاقات السياسية بالتر والتزقيع؟

هذه أسئلة لا تسهل الإجابة عنها ، فالسياسة تلد كل غريب ، والناورات الحربية تخلق المتناقضات ، ولا نستطيع أن نجزم إذا كانت المناورات السياسية الحالية مناورات عسكرية يقصد بها شغل الرأي العام عن حركة عسكرية تمد ، أم أنها مباحثات سياسية فملاً ؛ فالحرب الآن لا تقتصر على البندقية والمدفع ، ولكنها تمتد إلى الحالة المئوية للشعوب

نصيب الأسد

وعلى أية حال ، فالبلقان الآن في كفة القدر ، تتطاحن من أجلها دول أوروبا المكتاتورية علناً، وإن كانت تذبذب في الوقت نفسه أنها متفقة كل الاتفاق ، وقد تتفق سياسياً كما قالت الأنباء البرقية ولكنه سيكون اتفاق الإكراه ، لأن روسيا سواء اتفقت أم لم تتفق ستخرج من الثغمة « بنصيب الأسد » ، وستضطر لإيطاليا إلى ابتلاع أمانها والتخلي عن أطرافها التي ظالما ردها موسوليني ، وسترغم ألمانيا على نسيان وعودها . فالوقف الآن غير ما كان من سنة ، فقد رق الآن قناع ستالين ويانت من خلفه

أنياب أفسى مما كان موسوليني وهتلر يظلمان ، وأصبح لروسيا وحدها تقرير مصير تلك الدول

أما إنجلترا فيبدو للناس أنها تنفرج ، وربما كان هذا صحيحاً ، فلا تنتظر في مثل هذه الأحوال أصلح من التسرع ، لتكشف كل من هذه الدول عن نياتها ، حتى يباح لإنجلترا أن تعمل ، وعندئذ تضرب ضربتها في الصميم ؛ فقد تأخرت دول البلقان في العمل ، وكم نادي ساسة الإنجليز بأحماد تلك الدول ، ولكنها ظنت سلامها في الحياض وتمسكت به ، إلى أن حانت اللحظة التي صار الحياض فيها انتحاراً ، وأصبح أحمادها قليل القيمة ، بعد زوال للقوة العسكرية الفرنسية من الميدان ، وبعد ما فرغ الجيش الألماني من أعماله البرية ، واستتب له الأمر في ميدان أوروبا الغربية ، فأصبح جزء كبير من وحداته مطلق السراح

وبرغم الأحداث الأخيرة ما زالت مصالح إنجلترا في البلقان راجحة ، وما زالت تركيا واليونان مواليتين لها ، ووقفت بوجوسلافيا صامتة

ربيع النور

وما كادت روسيا تستولى على بحاراييا وشمال بكوفينيا حتى هبت « بلغاريا » و « هنغاريا » طالبان بنصيبها ؛ الأولى تطالب بترانسلفانيا ، والثانية تطالب بدوبروجة ؛ فقد صبرتا طويلاً ونجتا كثيراً ، وهما في معاملتهما تحدهما غاية واحدة تنطبق على مثل بلغاري يقول : « إن أحب الموسيقى إلى هو رنين النغود التي تملأ كيسي »

فهل ملأت معاملات ألمانيا مع هاتين الدولتين في الفترة الماضية كيسيها نغوداً ؟ الحقيقة أن الفترة الماضية كانت فترة تضحية من جانب الدولتين ، فكانتا تقدمان لألمانيا عمولات بلادها مقابل بعض المنتجات الألمانية للتناقص أو للتقليل القيمة ، وكانتا ترسلان إليها المواد الغذائية وتستوردان مدافع تنقصها الذخيرة ، وآلات كاتبة أو أدوات تصوير ، فقد تحفظت ألمانيا في تسليم هاتين الدولتين حتى لا تكونا خطراً يهددها إذا حانت ساعة الفصل

وماها تان الآن طالبان بالثمن ، ولا شك أن الفترة الحالية أحسن فترة تتاح لهاتين الدولتين لمواجهة ألمانيا التي من مصلحتها أن يستقر السلام في مخزن مؤونتها في البلقان ،

ولا نستطيع أن نجزم الآن بما سينتج من المحادثات  
الدبلوماسية التي تدور الآن، ولكنه من الواضح أن الدولتين اللتين  
تسميان لسيطرتهما على دول البلقان هما روسيا وألمانيا، ورومانيا  
تستثيت بألمانيا وتقدم لها فروض الطاعة، وتيسر لها للتجارة  
أملاً في حمايتها، ولإيجاد مصالح قوية تحم على ألمانيا الدفاع عنها  
ولا نعتقد أن أبناء الاتفاق الأخير بين رومانيا من ناحية  
والجر وبلغاريا من الناحية الأخرى على إعطاء الدولتين الأخيرتين  
بعض ما تعلمان فيه في رومانيا اتفاقاً نهائياً، فهو كما يبدو لنا  
مجرد تهدئة أعصاب لا يلبث أن يحى عندما تضع الحرب أوزارها،  
لأن منتهى أن تخرج ألمانيا من البلقان صفر اليدين وهذا ما لا ترضاه،  
إذ من الراجح أن تكون يوجوسلافيا من نصيب إيطاليا بحكم  
قربها منها ولطول سواحلها على بحر الأدرياتيك مما يهدد سيادة  
إيطاليا البحرية في المصم؛ والغالب أن تنقض ألمانيا هذه الاتفاقات  
عندما تسنح لها الفرصة لتحقيق أطامها في البلقان سواء بالسيطرة  
التجارية أو العسكرية

\*\*\*

### فرنسا تفتش الهتلرية

نم فرنسا التي كانت تدين منذ عهد الثورة الفرنسية بمبادئ  
الحرية والمساواة والإخاء، تقبر الآن الحرية والمساواة والإخاء  
لتقلد الهتلرية، فيتأدى قادتيا بالديكتاتورية ويدهون إلى ترك  
المبادئ التي طالما كانت تضئ للعالم سبل المدينة والتقدم،  
لترجع إلى مبادئ القبيلة، لتقدس الأسرة بمد ما كانت تقدس  
العالمية، وتعمل للفرد بمد ما كانت تعمل للعالم، فتتكش مثلها  
العليا من التعميم إلى التخصيص، وتنحصر أفكارها بمد ما كانت  
تقود للعالم بأراء مفكرها، ومبادئ أهلها، تزول عنها الصبغة  
الدولية لتحل محلها صبغة الأسرة  
وسبقها ألمانيا في هذا السبيل من قبل، وفي مثل ظروف  
المرزعة واليأس التي تمانها فرنسا الآن، ولكن ألمانيا في عهد  
غليوم الثاني كانت أقرب إلى الديكتاتورية منها إلى الديمقراطية؛  
تكونت في عهد ولهم الأول وبسبارك دولة حديثة العهد لم تم  
وحدتها إلا بعد حرب الأمم، فلم يعاقب على وحدتها جيلان  
حينما حلت بها كارثة الحرب العظيم، ولم يشعر أهلها حتى ذلك  
الوقت بثقل وطأة النظام الفردي، فلم يقدموا لمبادئ الديمقراطية

فرومانيا متأثرة بصدمة روسيا وألمانيا تريد التفريغ لاجتارها ولا  
تريد شغل نفسها في ميدانين، والروسيا متحفزة لتنفيذ خطتها  
غير مقيدة باتفاق أو تمهد إلا مصلحتها الخاصة  
وتنتهز روسيا - كما شاهدنا حتى الآن - للفرص  
للمل فتترك الدول تتطاحن حتى إذا قررت عملاً سبقها إلى  
الحصول على ما تريد وتضمها أمام الأمر الواقع، وأهم أغراض  
الروسيا في البلقان أولاً: الاستيلاء على آبار البترول في رومانيا،  
وثانياً: الوصول إلى مضيق البوسفور والدرديل كما قلنا من قبل،  
ونجاحها في الحصول على هذه الأغراض رهن بالظروف التي تمدها  
الدول المتطاحنة

### نصيب إيطاليا

وانحطت مركز إيطاليا في المتطاحن الحالي، فبعد أن كان لها  
صوت مسموع ومركز محترم في البلقان أصبحت كلتها ثانوية  
ومن قبيل الاستشارة فحسب، إذ أصبحت تابعة لهتلر تستمد من  
خطه خطتها، واضطرت ظروف الحرب الحالية إلى الخضوع  
لخطط الألمانية خضوعاً تاماً

وقبل أن تنغمر إيطاليا في سياسة المحور كانت ذات أطام  
كبيرة، ولم يكن استيلاؤها على ألبانيا إلا خطوة لاعتبارها من  
من دول البلقان، فمن ألبانيا فتح أمامها الطريق إلى بلاد اليونان  
ويوجوسلافيا، فضلاً عن أنها أتمت سيطرتها على بحر الأدرياتيك  
ووضعت منافذ يوجوسلافيا البحرية تحت سلطتها، فإن مضيق  
أرتنتو لا يتجاوز طوله ٤٠ ميلاً يسهل إقفاله بالألغام أو للسيطرة  
على منبع ماء المدافع الساحلية

ويرجع اهتمام إيطاليا بالبلقان إلى ما قبل الحرب الماضية،  
فكانت المنافسة بينها وبين الامبراطورية على أشدها في البلقان  
وخصوصاً في ألبانيا؛ فأنشأت كل منهما عدة مدارس لنشر ثقافتها  
في تلك البلاد، وكاننا تتناقسان في جذب الطلبة إلى ماهدما  
فتقدمان لها للملابس والنفذاء مجاناً، وكانت كل منهما تحرص على  
عدم إغضاب الطلبة وتوقيع العقوبة القاسية عليهم حتى لا ينتقلوا  
إلى مدارس الأخرى

ولسياسة إيطاليا للتدعية يفضلها البلقانيون على ألمانيا ولكن  
ضعف إيطاليا الحالي واعتمادها على ألمانيا دفعا بالدول البلقانية  
إلى الارتقاء في أحضان ألمانيا لحمايتهم من أطام الروسيين

فلم يجد للناس عملاً يكتسبون الرزق من ورائه ، وظهرت الفتن  
والتثورات

### تَسْقِيلُ المَاطِلِينِ

في هذه الظروف برز هتلر فوزع الوعود ما وسعه للكلام ،  
وما سمحت به الاستعمارات ؛ وكان الشعب في حالة اضطراب ،  
لا يصدق أنه خسر الحرب بعد ما بذل من جهد ومال ، فقال لهم :  
ما جذبهم إليه إذ أنهم اليهود بأنهم سبب خسارة الحرب بما نسجوا  
من دسائس ومؤامرات

وزاد على ذلك أن استدراج للشعب فجعل من حزبه مكتباً  
لتشغيل الماطلين ، وعلى هذا الأساس بنى حزبه ، متوسلاً إلى  
تحقيق برنامجه باضطهاد لليهود وفصلهم وإحلال الألمان محلهم ،  
وبتكوين فرق مقاتلة تحمى المصانع الكبيرة من جهة ، وتكره  
أصحاب الأعمال على إطاعته من جهة ثانية

فهل هذه حال فرنسا الآن ؟ هل عمت البطالة فرنسا وانهار  
تقدها وجاع أهلها ؟ إن فترة الحرب كانت قصيرة فلم تمهد لهذه  
الأحداث ؛ وفرنسا دولة قليلة السكان لم يشك أهلها كما شكى  
العالم من أزمة البطالة الحادة في السنوات الماضية

### استقرار الحكم

فليس للشعب الفرنسي من الأسباب ما يدفعه إلى كره مبادئه  
والسخط عليها ، وإذا كانت هناك أخطاء فهي أخطاء القادة من  
أمثال بتان ؛ أضف إلى ذلك أن نصر ألمانيا لم يتم ، وما زالت  
انجلترا في الميدان ، وما زال دي جول يمثل الشعب الفرنسي ،  
وفي نصر انجلترا خلاص فرنسا من كارثتها الحالية

فتجربة بيتان تجرية وقتية لن تلبث أن تزول ، لأنها لا تقوم  
على أسس صحيحة ، ولم يبلغ بأس للشعب الفرنسي حده ليرتك  
مبادئه السامية ويشابع المنهنية ؛ وإن كانت هناك أخطاء في عدم  
استقرار الحكم

فليحاول هتلر أن يقرب رجال الحكم ويضع مكانهم رجالاً  
نازيين ، وليحاول بيتان أن يجاريه في تنفيذ هذه السياسة ماوسسته  
المجازاة فإن فرنسا لم تصدم الصدمات التي تنسى شعبها حبه للحرية  
والمبادئ التي نضى من أجلها  
فرزى الشترى  
بكالوريوس في الصحافة

ما قدمت فرنسا من نجاح ، ولم يحطموا من مظاهر للنظم والجور  
ما حطم للفرنسيون في سجن اباستيل ، ولم تمر بهم خطوات  
التقلب من الملكية المطلقة ، إلى حكومة الإدارة ، إلى الإمبراطورية  
إلى الجمهورية

لم تتقلب ألمانيا المتحدة في تجارب أنواع الحكم من جمهورية  
وامبراطورية كما تقلبت فرنسا ، فلم يتول حكم ألمانيا إلا عاهلان  
فتيسر لوهلم الأول بناء وحدتها ، وجاء غليوم الثاني فكان نكبة  
عليها ، وظل الاتحاد الجرمانى طول عهده بالحياة في ظل الحرب  
وللاحتفاظ بالوحدة ، ولم يفكر أهله تفكيراً جدياً في نظام  
الحكم اللاتيم

### تقلبه غير مرفوس

فهل ينطبق هذا على فرنسا التي عاشت القرون الطويلة متحدة  
تجرب ألوان الحكم من فردية مطلقة ، إلى فردية مقيدة ، إلى  
حكومة شعبية ؟ وهل يستطيع الفرنسي أن ينزع من قلبه حب  
الحرية ليعيش مقيد الحرية ، محصور التفكير ، تمد عليه أنفاسه  
وتفرض عليه تصرفاته كما يريد هتلر ونصيره بتان ؟

كلا . إن حب الحرية في دم كل فرنسى ، فإذا شغلته للنكبة  
الحالية عن مبادئه ، فلن يلبث أن يعود إلى رشده ويذكر حرية  
عند ما تستقر الحال ، فالصدمة الحالية لن تلبس الفرنسي الحقوق  
التي سطرها بدمه ، فهو الآن في نوبة من الشيبوبة التي تزول  
عند ما تزول للصدمة

وهذه المظاهر التي أهلها المارشال بتان إنعاشي تقليد أسمى  
يخالف الثقافة الفرنسية ، ويتنافر مع طريقة المعيشة الفرنسية ،  
ولعل الدافع للمارشال بتان على هذا التقليد ما يراه من تشابه  
بين حال فرنسا الآن وحال ألمانيا عقب الحرب الكبرى ، من  
انهيار استقلال أمتها وتغير أقيسة المعيشة فيها ؛ فإذا كانت هذه  
نظرة ، فقد فاته ما بين الشعبين من اختلاف في التقدير  
والحالة العامة

فقد خرجت ألمانيا من الحرب الكبرى بمد نضال دام أربع  
سنوات أكل الأخضر واليابس ؛ فأهكت موارد البلاد حتى عم  
الجوع وتضخم للنقد حتى فقد قيمته الشرائية ، وأصبحت ألمانيا  
في حالة إفلاس ، وانتشرت البطالة والشيوعية بين الشعب ،